John Cooley, **Green March, Black September : The Story of Palestinian Arabs.**
(London : Frank Cass, 1973).

مؤلف هذا الكتاب ، السيد كولي ، صحفي امريكي عاش في الشرق الاوسط فترة طويلة عايش خلالها الاحداث وراقبها عن كثب عندما عمل كمراسل في الجزائر اثناء حرب التحرير لمدة ست سنوات ثم كمراسل لجريدة « كريستشين سينس مونيتور » منذ عام ١٩٦٥ .

وهذا الكتاب هو أحد أفضل الكتب التي صدرت عن المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية ، ولا بد ان يكون مؤلفه أحد قلة ضئيلة من الصحافيين او الكتاب الغربيين الذين تجشموا مشقة محاولة فهم الجانب الفلسطيني دون الوقوع في شرك الدعاية الاسرائيلية . ويشعر المرء بموضوعية الكاتب وتجرده اثناء قراءته الكتاب ولو ان اراء السيد كولي ليست بالضرورة متطابقة مع تطلعات الفلسطينيين .

والكتاب موجه بشكل عام للقارىء الغربي غير المتخصص في امور الشرق الاوسط، وهو يجمع بين دقة التحليل وسعة الاطلاع من ناحية والسرد غير المعقد من ناحية اخرى، الامر الذي يجعله في متناول القارىء العادي . وبالرغم من ان عنوان الكتاب يشير الى انه يتناول « قصة الفلسطينيين العرب » فهو في الواقع ليس سردا تاريخيا بالمعنى المعهود بل من نوع الكتابة التي يمكن ان تسمى بالصحافة التحليلية او التفسيرية التي يتخصص بها الكاتب.

يتألف الكتاب من عشرة فصول وملحقين. ويستهل كولي الفصل الاول من كتابه بمعالجة سريعة لمشروع المملكة العربية المتحدة الذي طرحه الملك حسين في الخامس عشر من آذار (مارس) ١٩٧٢ مستهدفا توحيد ضفتي نهر الاردن في نظام فدرالي تحت علم واحد . وبعدما يتناول الكاتب ردود الفعل لهذا المشروع في العالم العربي واسرائيل والغرب فيقول ان ردة فعل الاسرائيليين للخطة كانت سلبية وذلك استنادا الى تصريحات بعض الرسميين الاسرائيليين . الا انه يؤكد بان هذه الخطة جاءت نتيجة لتفاهم مسبق الى حد ما بين الملك حسين والاسرائيليين (باستثناء مسألة القدس) ، ويدعم ذلك بقوله ان « مراسل الشرق الاوسط لاحدى مجلات الاخبار الاميركية حصل من مصادر موثوقة على اثبات الاتصال الاسرائيلي — الاردني من أجل تهيئة المسرح لمبادرة حسين . ويؤكد كولي ايضا بأن التحقيقات الخاصة التي قام هو بها كشفت النقاب عن ان الملك حسين عقد عشرة او اثني عشر اجتماعا مع الزعماء الاسرائيليين في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٢ .

أما بالنسبة لردة فعل الفلسطينيين لمشروع الملك حسين فيستنتج المؤلف انه كان من الصعب التحقق من ردود فعلهم « ان تشتتهم الجغرافي والانظمة السياسية المختلفة التي يخضعون لها قد ضاعفت من صعوبة [استشارتهم حول] هذا الامر » . غير ان الاكثرية الصامتة من الفلسطينيين كانت ، حسب رأي الكاتب ، تتأثر الى حد كبير بحركة الفدائيين بدرجات مختلفة . وبالتالي كان موقفهم من المشروع سلبيا اذ انه لم يكن من المرجح ابدا ان يقبل الفدائيون بأي حل يطرح من قبل الملك حسين. كما يرى المؤلف بأنه ليس بالامكان تحقيق سلام حقيقي بواسطة التسويات والحلول الجزئية القائمة بين الدول العربية واسرائيل ما لم يأخذ الفلسطينيون بعين الاعتبار اذ انهم اساس الخلاف.

ويفرد المؤلف الفصلين الثاني والثالث لبحث جذور القضية الفلسطينية من الناحية التاريخية وذلك تحت عنوان « شعب بلا ارض » و « تغريب فلسطين » ويبين هنا ، عكس ما تروجه الدعاية الصهيونية في الغرب ، استمرارية وجود الشعب الفلسطيني على ارض فلسطين من قبل الاحتلال الروماني بقرون حتى وقتنا الحاضر . ويبرز كذلك أهمية الاماكن المقدسة بالنسبة للمسلمين ، وهذا أمر يكاد يكون مجهولا بالنسبة للقارىء الغربي العادي .

ويعرض المؤلف بعد ذلك بايجاز بعض نواحي تاريخ فلسطين الحديث ابتداء من حملة نابوليون على مصر حتى حرب ١٩٦٧ وتشريد الفلسطينيين مرة اخرى خلال عشرين عاما . ومعالجة الكتاب لتاريخ فلسطين مقتضبة ، وبالضرورة انتقائية . الا ان الفصل الثالث اكثر عصرية والى حد ما